الظرفية والتحول والتأصيل

بقلم: شارلى. ر. تيبر

obeikandl.com

obeikandl.com

تصوروا طالبًا جامعـيًا مسلمًا يعيش فى القاهرة واسألوا أنفسـكم: ما هى البيئة التى نشأ فيـها والتى يعيش فيهـا الآن؟ تلك البيئة التى لعبت دورًا كـبيرًا فى بلورة شخصيته والتى تؤثر على الطروح الإنجـيلية التى يجب أن توصل إليه؟ كيف يفسر هذا الطالب تلك الطروح؟ ماذ سيكون موقفه منها؟ كيف يتفاعل معها؟ إن البحث عن إجابة لهذه التـساؤلات يرتبط ارتباطًا وثيقًـا بجوهر الظرفية، بالمفـهوم الحديث الذى ينبغى اتباعه فى عملية التنصير.

أ- الظرفيـة

إن كلمة ظرفيـة كلمة جديدة نوعًا مـا إذ يعتقد بعض الناس أنهـا ليست سوى مصطلح ابتـداعى للمفهوم القـديم «التأصيل» فى حـين يصر بعص الناس على أن المصطلح الجديد يمثل مـفهومًا حديثًـا، وأنا شخصيًا أرى أن الظرفيـة تشتمل على الكثير من الجوانب التى يشتمل عليها مفهوم التأصيل وتزيد عليها قليلاً، إن مفهوم التأصيل على الرغم من أنه لم يجـرِ تصنيفه كمبدأ فى عمليـة التنصير إلا منذ قرن تقـريبًا إلا أنه مـفهـوم قديم يرجع إلى تاريـخه إلى المسـاعى الأولى فى الكنيسـة لتمكين **الإنجيل** من تخطى الحواجز الثقافية فى عمـلية التنصير، وعبر القرون واجه بعض الأشخاص مثل **أوغسـتين ومانيو ريـكاى وريبرتو دى نوبيلى** مشاكل مـشابهة للمشاكل المعاصرة قبل أن يقوم **روفوس أندرسون وهنرى فين وجون نيفياس** وعدد غيـر قليل من علماء الأجناس البـشرية المشتـغلين بقضـايا التنصير بـتصنيف هذه القضايا تصنيفًا علميًا.

إن ساحـة التنصير لـم تخل يومًا ما لمدرسـة التأصيل وحـدها فقـد كانت هنالك مدارس معارضة لدعاة منهج التأصيل، ففيما ركزت إحدى المدارس على إبلاغ **الإنجيل** أكدت الأخرى على «نقاء» **الإنجيل** المدرك من خلال مـصطلحات افتـراضية، وفيـما سعت المدرسة الأولى جاهدة لتوصيل معطـيات الإنجيل مركزة على جوانب الاحتكاك والاستمرارية بين **الإنجيل** والثقافـة القائمة، ركزت الأخرى على نقـاط الخلاف وعدم الاستمرارية، وكلما حاولت الأولى أن تجعل عملية التنصـير عملية سهلة مستفيدة من

التمزق الثقافى والاجتماعى ركزت الأخرى على التغير الجذرى، وقد برهنت التجربة على أن الجهود التى بذلها معارضو منهج التأصيل هى التى باءت بالفشل ويعزى ذلك إلى أن المعارضين قد درجوا على نشر مفاهيمهم الثقافية بسذاجة مفرطة بدعوى أن لا فرق بين هذه المفاهيم وبين أسلوب الحياة النصرانية، وقد أدى ذلك إلى سوء فهم رسالتهم التى اعتبرها الناس غريبة عليهم ولا تمت إلى حياتهم بصلة.

ويتضح من ذلك أن أسلوب التأصيل كان خطوة فى الاتجاه الصحيح ولكنه لم يوصل إلى الهدف الأساسى وبخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار ظروف القرن العشرين بجدية أكثر، وهذا يدعونى إلى القول بأن منهج الظرفية يوسع مفهوم التأصيل ويصحح مساره على النحو التالى:

١- اتجه مفهوم التأصيل إلى التركيز كلية على الأبعاد الثقافية للتجربة الإنسانية وذلك باستخدام المفاهيم والرموز والموسيقى والطقوس الدينية والفن المعمارى وإنماط التنظيم والقيادة... إلخ، وعلى الرغم من أن منهج الظرفية لا ينكر أهمية هذه الأبعاد إلا أنه يرى أن المحيط الإنسانى الذى يخاطبه الإنجيل يشمل أيضًا المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية: الثروة والفقر والقوة والضعف، والحرية والاضطهاد. إن ردود الفعل لدى البشر ليست مشروطة فقط بثقافتهم بمعناها المحدود ولكنها تتأثر بمشاعرهم نحو المستوى المعيشى والحرية والكتب وقيمتهم كبشر، وبالإضافة إلى ذلك فإن معطيات الإنجيل والطريقة التى تعرض بها تعتمد أساسًا على هذه التساؤلات ولنتذكر بأن المسيح لم يدع رد البصر إلى المقعد وإنما إلى الأعمى.

٢- درج منهج التأصيل على تعريف الثقافة بمصطلحات تقليدية جامدة مركزًا على جوانبها المختلفة وتاركًا الفرصة للإنجيل لأن يعمل من حولها دون تفاعل حقيقى معها إذا لم يكن هناك فهم كاف لمرونة الثقافة وتقلباتها، ولكن هذا المفهوم الجامد للثقافة والمكيف وفقًا لمتطلبات الماضى لم يعد قادرًا على التفاعل فى عالم متغير بسرعة مذهلة، ولهذا أصبح من الضرورى أن لا يتشبث بجذور الثقافة القديمة فقط بل من اللازم علينا رعاية الأزهار الحالية وثمار المستقبل، وهذه النظرة تستوجب منهجا للتنصير يكون قادرا على فهم التغييرات الثقافية على أنها عملية دنيوية واسعة تحلل على ضوئها التغيرات التى يحددها الإنجيل.

٣- درج المنهج التأصيلى على اعتبار الأنظمة الاجتماعية - والثقافية أنظمة مغلقة قائمة بذاتها بمعنى أن المجتمع كان متكونًا من الجماعة القبلية الصغيرة المعزولة عن المؤثرات الخارجية، ولكن الواقع سواء كان هذا جيدا أم لا فإنه يبين أن تلك المجموعات الصغير قد بدأت تتلاشى من الوجود بفضل الاتصال المباشر بين الناس أو من خلال وسائل الإعلام.

ففى عالم اليوم تقوم بين المجتمعات علائق التجارة والحروب والاستغلال ضمن نظام اقتصادى سياسى واسع يشمل العالم بأسره، ولهذا فإن تصورنا لنموذج معين يجب أن يأخذ فى الاعتبار هذا النظام الشامل وآثاره المتباينة على الجماعات والمجتمعات والأمم المختلفة، إن الكثير من الأمراض السياسية والاقتصادية والثقافية تنتشر فى الدول الفقيرة إضافة إلى فساد وخمول هذه الشعوب التى تدعى الدول الغنية. وطالما أن المنصرين ينطلقون دائمًا من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة يجب على **الإنجيل** أن يتعامل مع هذا النظام العالمى، وإلا فسوف يساء فهمه وسيعتبر غير ملائم أو مشبوه أو فاسد خاصة فى المجموعات الفقيرة التى تمثل الجانب الأدنى من العالم، وبوضوح أكثر فإن نظرة الناس إلى المنصر ترتبط ارتباطًا وثيقًا بموقفه الشخصى من السياسة الخارجية لبلاده وبالنشاطات التى تقوم بها مؤسساتها وبالتالى تؤثر على مصداقية الرسالة التى يدعو إليها.

٤- إن الافتراض السائد هو أن التأصيل كان يعنى الأحداث التى وقعت «هناك» فى ميدان التنصير دون أى اعتبار لعلاقة **الإنجيل** بالمجتمع والثقافة الذى ينتمى إليهما المنصر، وكل ما يعنيه هذا هو أن ثقافة المنصر ليست للتصدير. والحقيقة فإن منهج التأصيل ينطلق من نظرة متفائلة وضعيفة التمييز أكثر مما يجب تجاه كل ثقافة فى وسطها ويرى الشر فقط فى فرض ثقافة أجنبية على المجموعات فى «ميدان التنصير»، وقد أخذت هذه النظرة الغربية صفة واقعية غريبة بفضل استمرارية إرساليات التنصير بالعمل فى تلك الميادين وكذلك بسبب المشاكل الحقيقية التى خلقها الاستعمار هناك، ولمنهج الظرفية تصوران إضافيان آخران وهما أن مظاهر الخير والشر واضحة فى جميع المجتمعات الدينية المتعارضة هى التى تسبب العديد

من المشاكل للكنائس فى الغرب التى لا تختلف عن المشاكل المعروفة فى أى مكان آخر، ولهذا ينبغى مواجهتها بنفس المواقف والأساليب.

٥- اتجه منهج التأصيل بصفة عامة للتعامل مع المسائل السطحية مثل «أسلوب التعبير» الإنجيلى باعتباره «واحدًا» فى كافة البيئات، ولكن منهج الظرفية يرى -على الرغم من علمه التام بأن رسالة **الإنجيل** رسالة عالمية - أن هذا البعد الشامل أكثر بعدًا عن المستوى السطحى للتعبير الشفهى والرمزى مما درج الناس على الاعتقاد به، إن أى لغة هى فى الأصل جزء لا يتجزأ من ثقافة معينة وتستخدم فى سياق معين من العسير اختصاره، وهذه التصورات تمهد الطريق لاتباع مداخل عدة ومختلفة التنصير واللاهوت أكثر من ذى قبل.

٦- وأخيرًا - وعلى الرغم من أن أسلوب التأصيل كان يهدف إلى وضع المسؤولية والسلطة والمبادرة فى أيدى النصارى المحليين فإن هذا تم فقط فى جزء من حركة التنصير وهو نشاط الكنيسة المحلية، أما العمليات الأكثر تعقيدًا مثل بناء المستشفيات والمدارس الرئيسية فقد كانت تصمم وتدار من الخارج، وفيما عدا ما أثاره عدد قليل جدا من المنظرين فى مجال التنصير، فإن أحدًا لم يتساءل على الإطلاق فيما إذا كان التصور الكافى وراء هذه الجهود تصورًا سليمًا، ونتيجة لذلك انتشرت الأنماط الغربية برمتها وتربع الغربيون على مواقع المسؤولية مما أدى إلى الاستياء والامتعاض فى ساحات العمل المحلية.

وعليه فإن أسلوب الظرفية هو محاولة للاستفادة مما حققه أسلوب التأصيل وتصحيح أخطائه وانحرافاته وسد ثغراته. كما أن الظرفية تعنى بذل الجهد لفهم كل بيئة معينة على مستوى الفرد والجماعة ككل وتشخيص أبعادها الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى تنضج الرسالة الإنجيلية التى تلائم الناس فى تلك البيئة، وهذا يتطلب تحليلاً تجريبيّاً عميقًا للبيئة والظروف التى يعيشها الناس بدلاً من الأحكام المسبقة، إن الظرفية لا تشغل نفسها بملائمة **الإنجيل** «للأديان» عامة بل تركز على ملائمته لدين معين وكما يفهمه ويمارسه أناس معينون أو شخص معين. كما أن الظرفية لا تكتفى بالنظر إلى علاقة **الإنجيل**

بالإسلام وملائمته بصورة مجردة إلى علاقته وملائمته لكل تشعب من تشعبات الإسلام عن طريق التساؤلات الآتية مثلاً: ما المفاهيم والرموز الشائعة فى هذا الدين والتى يمكن استخدامها مدخلاً **للإنجيل** اقتداءً باستخدام الرسول بولس للإله الإغريقى «المجهول»؟ ما التبصر الحقيقى الذى يكتسبه الإنسان من هذا الدين عن شخصية الرب وعن نشاطه وإرادته؟ ما الثغرات والأخطاء والتحريفات التى ينطوى عليها هذا الدين؟ ما العقبات التى يضعها هذا الدين فى طريق فهم رسالة **الإنجيل**؟ واستنادًا إلى مثل هذا التحليل يسعى أسلوب الظرفية إلى اكتشاف المعطيات الإنجيلية التى تلائم أناسًا معينين، وبمعنى آخر فإن الظرفية تسعى إلى الاقتداء بالمسيح الذى ينجح فى تقديم **الإنجيل** بصورة تناسب احتياجات كل إنسان والظروف المحيطة به، ومن هذه الناحية فإن **الإنجيل** قابل لأن يستخدم بعدة أساليب وبتعابير مختلفة: **فالإنجيل** مثلاً يخبر الأعمى أن يسوع قادر على أن يرد له بصره ويبلغ المقعد أن يسوع يمكنه من المشى وأنه يحرر البشر من الذل والفقر والجشع وعبادة المال، إن العنصر الموحد فى كل هذه التعابير هو عناية الرب لرد الضالين والمعزولين إلى الطريق التى يقودهم إلى ملكوته وهذه العناية هى جوهر الأحداث التاريخية المتمركزة حول حياة يسوع الناصرى.

ب- البيئة الإسلامية

لعله من المفيد أن نذكر بعضًا من الأبعاد الخاصة بالبيئات الإسلامية والتى يجب على إرساليات التنصير أخذها بجدية.

١- هنالك البعد التاريخى الذى يأخذه المسلمون بجدية أكثر من الغربيين، وخاصة الأمريكيين الشماليين، فتاريخ العلاقات بين الإسلام والنصرانية يرجع إلى ظهور الإسلام، كما أن بعض المناطق من العالم الإسلامى لها تواريخ خاصة ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام، والإسلام من ناحية مهمة هو عبارة عن ردة فعل كامنة لمفهوم محمد لليهودية والنصرانية والديانة التقليدية لدى العرب، ولنتساءل: ما مفهوم محمد للنصرانية؟ وما العقبات التى تبحث عن هذا الفهم والتى يمكن اجتيازها بهدف إيصال فهم أكثر دقة؟.

إن تاريخ العلاقة بين الإسلام والنصرانية تاريخ حافل بالحروب التى لم تنقطع، فهنالك فتوحات المسلمين فى شمال إفريقيا وإسبانيا والحروب الصليبية والحروب التى دارت بين الطرفين فى العصور الوسطى وفى عصر النهضة فى وسط وشرق أوربا والتوسع الاستعمارى للقوى «النصرانية» الغربية داخل أراضى المسلمين، هذا بالإضافة إلى المواجهات الراهنة حول الصهيونية ولبنان والنفط، وعبر هذا التاريخ الطويل تصرف «النصارى» بصورة لا تمت إلى تعاليم النصرانية بصلة وكان لتلك التصرفات أثرها فى تشويه رسالة الإنجيل وإحباط مراميها، وبالطبع فإن كل جزء من أجزاء العالم الإسلامى له تجربته الخاصة فى هذه المواجهات، فتجربة الجزائر مثلاً تختلف عن تجربة أفغانستان. وإن مظاهر الثغرات العرقية والقومية قد جعلت النصارى الغربيين يحتقرون الثقافة الإسلامية متجاهلين أن الثقافة الغربية مدينة للثقافة الإسلامية التى يمكن علماؤها من حفظ تراث العصور القديمة وترجمته للأجيال المتعاقبة بالإضافة إلى إسهامات المسلمين الأصيلة فى الرياضيات والعلوم.

إن تاريخ التنصير فى أراضى المسلمين تاريخ طويل متقلب واضح يرجع على الأقل إلى زمن **رامون لول**، والإسلام نفسه عقيدة تبشيرية عدوانية نجحت عبر التاريخ فى ضم العديد من الشعب، ونتيجة للتفاعل بين الإسلام «الأصيل» وبين البيئات المحلية المختلفة ظهرت أمور جديدة واسعة تجدها فى الإسلام المعاصر، كما أن تاريخ الاحتكاك الطويل بين المسلمين والنصارى جعل المسلمين يشعرون بأنهم يفهمون النصرانية على حقيقتها كما أن سلوك وتصرفات النصارى أنفسهم بصفة عامة لم تعط الرسالة النصرانية حقها.

وإذا عدنا إلى الطالب المصرى الذى سبق ذكره أعلاه نرى أن واقعه التاريخى يشتمل على فخر عظيم بالآثار المصرية وبإنجازات إسلامية فى الفترة التى كان فيها أجدادنا برابرة يعيشون فى الأدغال فى شمال أوربا، هنالك ذلك التاريخ المحدد لوجود كنيسة نصرانية أقدم من الإسلام والتى تقلصت إلى أقلية لها لغة خاصة وثقافة تختلف عن الثقافة الإسلامية التى تحيط بها، وطريق التعايش المقبولة والمعمول بها هى أن الناس هم مسلمون أو نصارى بالولادة أو عن طريق الاندماج

الاجتماعى الأولى وأن كـلا الطرفين - وخاصة النصارى - لا يسـعيان إلى تحويل الآخرين عن دينهم، وهكذا فبـالنسبة لهذا الطالب المصرى، فإن الـنصارى الأقباط وبدرجة أكثر أولئك الذين تحولوا إلى النصرانية بـتأثير المنصرين الغربيين هم عينات أجنبية.

٢- هنالك أيضًا المحيط الدينى- الثقافـى، قد نحاول أن نفرق بين المحيط الدينى والمحيـط الثقـافى ولكن مثل هذه المحـاولة ستـؤدى إلى تشويه سـمة جـوهرية فى الإسلام، وأستطيع فقط أن أذكر بعض الجوانب الخاصة بهذا الواقع فى شكل أسئلة:

أ- هل أن منزلة الإسـلام كدين «**الكتاب**» تعقـد عملية الـشهادة النصـرانية أم تيسرها وبأية وسيلة؟

ب- كيف يمكننا الاستفادة من نظرة الإسلام تجاه وحدانية الرب وسموه؟ كيف يتسنى لنا التغلب على قناعة المسلمين بأننا نؤمن بثلاثة آلهة؟

ح- كيف يمكننا الاستفادة من المكانة الجليلة التـى يتمتع بها يسوع فى الإسلام لنجعلهـا نقطة انطلاقنا لإقناع المسلمين بصحـة ما يرويه **الإنجيل** عنه؟ كيف يمكننا التغلب علـى النصوص القرآنيـة التى تكذب بعض الأجزاء المهـمة من رؤية **العـهد الجديد**؟ هل يمكن أن نحدث الناس عن الحقيقة الواردة فى المعنى الإنجيلى المجازى «ابن الرب» دون أن نستخدم التعبـير ذاته لكى نتخطى سوء الفهم المتأصل فى هذه العبارة.

د- هل يمكننا التغلب على نزعاتنا الراميـة لتشوية المثل الإسـلاميـة استنادًا إلى ما نلاحظه من قصور فى ممارسات المسلمين ونستفيد من التطابق الذى نجده بين المثل الإسلامية والمثل النصرانية وبذلك نتمكن من دعوة المسلمين للإيمان بيسوع المسيح؟

هـ- هل نستطيع مساعدة الكنائس التى تحيطها أغلبية إسلامية على التغلب على المشاعر التى تسـودها كأقلية؟ هل يمكننا العمل نحـو مفهوم للتنصـير لا يقود إلى اعتبار المتنصر خائنًا لمجتمعه وثقافته مما يؤدى إلى عزله تمامًا.

و- ما الطرق البـديلة لأساليب المواجـهة فى أقوالنا والشـعور وكذلك الشـعور بالانتصار تلك الأمور التى يلاحظها المسلمون كثيرًا فى مواقف النصارى؟ ألسنا فى

حاجة ماسة لاستصلاح الأرض فى مواقع التنصير قبل أن نبدأ الحرث والزرع والرىّ ثم الحصاد؟ أليس من المؤمل أن يكون أسلوب الحوار البناء والاحترام المتبادل أكثر فائدة من الأساليب التقليدية؟

٣- الواقع الاقتصادى والسياسى الراهن: من ناحية أولى ما أثر الاختراق الذى حققته الدول المنتجة للبترول والذى قاد إلى شعور بالتعالى على التنصير؟ ومن الناحية الأخرى ما موقفنا من الفقر فى بنجلاديش ودول غرب إفريقيا المسلمة؟ كيف يمكننا التغلب على مشاعر الشك التى يقابل بها المسلمون المعونات والمساعدات النصرانية؟ هل من الممكن تقديم هذه المساعدات بطرق واضحة غير مريبة ليست فيها بنود سرية ولا يشتم منها أى تهديد أو محاولة للسيطرة؟ كيف يمكننا أن نفصل أنفسنا عن مواقف الحكومات الغربية من النزاع الإسرائيلى- الفلسطينى؟ وأهم من ذلك كيف يمكننا أن نتفادى الاعتقاد السائد بين المحافظين من النصارى بأن قيام دولة إسرائيل إنما هو تحقيق وعد الرب لإبراهام- ذلك الاعتقاد الذى يبرر جميع تجاوزات إسرائيل على أنها تحقيق لتلك النبوءة؟ ما الوسيلة التى نتجاوز فيها سيطرة الضمير الغربى السيئ فى التعامل مع اليهود على حساب الفلسطينيين؟.

أما بالنسبة للطالب المصرى الذى سبقت الإشارة إليه فإن محيطه السياسى- الاقتصادى يشتمل على اعتبارات كثيرة مثل الفقر والانفجار السكانى وفرص العمل المتاحة وموقفه من حكومة السادات... إلخ.

ج- التنصير الظرفى

انطلاقًا من الحقائق المذكورة أعلاه ما الأمور الملحة التى تحتم اتباع منهج سليم للتنصير بين المسلمين؟.

إن الشرط الأساسى فى نظرى هو أن نتوب من طبيعة علاقتنا (الغربية النصرانية) التاريخية والحالية مع العالم الإسلامى، وإذا لم نخط هذه الخطوة فإننى لا أرى جدوى من التقدم إلى الأمام. ولن يفيدنا هنا التنصل من مسؤوليتنا عن الجرائم البشعة التى ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين ولا عن الإرهاب الصهيونى

ضد الفلسطينيين. فالاعتقاد السائد بين المسلمين هو أننا نشترك فى المسؤولية عما ارتكبه أسلافنا وحلفاؤنا أبناء جلدتنا إذا لم نشجب تلك الأعمال ونتصرف بطريقة مختلفة عنها، إن الظرفية تلزمنا أن نبدأ العمل وفق شروطهم وليس وفق شروطنا، وبمعنى آخر فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعًا من أعمال «الخيانة» لأممنا ومجتمعاتنا، علينا أن نتخلى عن الروح الانتصارية وأن نكون أكثر احترامًا وحساسية للمسلمين ولعقيدتهم وطريقة حياتهم، فالتنصير الذى يتسم بأى موقف مغاير إنما يشوه **الكتاب المقدس** ويسىء إليه.

علينا أن نأخذ بجدية وجهة نظر المسلمين نحو احتياجاتهم المحسوسة والطريقة التى يعبرون بها عن هذه الاحتياجات ولنتساءل: ما تصورهم لأسلوب حياتهم وطموحاتهم للعوامل التى تؤدى بهم إلى الإحباط؟ ما هو تصورهم الخاص لضياع وغربة الإنسانية؟ وبمعنى آخر علينا أولاً الإصغاء إليهم ومن ثَمَّ نستطيع مخاطبتهم انطلاقا من تصوراتهم الشخصية لهذه المسائل ونتدرج بهم إلى فهم شامل **للكتاب المقدس**، لماذا نتوقع أن يصغى إلينا الناس إذا نحن لم نتعامل معهم وننظر إليهم بجدية؟.

عندما نتحلى بهذه المواقف الثورية الأساسية سيكون فى مقدورنا أن نكتشف عبر الحوار البناء مع المسلمين الحقائق التى يخاطب بها **الكتاب المقدس** هؤلاء الناس والكيفية التى يمكن أن تصاغ وتعبر بها هذه الحقائق، نستطيع أن نتدارس معهم أفضل السبل لعملية التبليغ ومن ثَمَّ نحدد النقطة التى يتم فيها طرح التحول علنًا، ونستطيع كذلك أن نتدارس معهم المؤشرات العريضة لإيمانهم بالمسيح.

عندما يجلس المتحولون إلى النصرانية جنبًا إلى جنب يتدارسون **الكتاب المقدس** ويمتثلون لأوامره، وعندما تبدأ شهادتهم تتغلغل محيطًا أوسع يكون هدف أسلوب الظرفية تحقيق تحويل البشر وثقافاتهم ومجتمعاتهم وبنياتهم وفقًا للظروف المحلية وليس محاكاة للكنيسة الغربية، أو كصورة مطابقة لنمط المجتمع الغربى، فالهدف الأساسى هو تكوين مجتمع يدين بالنصرانية وفقًا للمعطيات المحلية المناسبة ويمثل نواة ملكوت الرب الموعودة، والسؤال الذى يطرح نفسه والذى ينبغى علينا أن نجيب عليه هو: هل لدينا الإيمان والمحبة والتواضع والصبر الذى يجعل هذا النوع من التنصير ممكنًا؟.

خلاصة تعقيبات المشاركين

كانت التعقيبات على الجزء (أ) من هذا البحث إيجابية بأغلبيتها الساحقة فقد أبدى معظم القراء إعجابهم بالتمييز الواضح بين التأصيل والظرفية ورأى قليل منهم أن هذا التمييز كان اعتباطيّاً، ولكن الشعور الغالب هو أن المقال قد كان علميّاً ومفيدًا، كما يتضح من تعقيب أحد القراء الذى قال: «إننى لم أرَ طرحًا أفضل حول هذا الموضوع».

أما الجزء (ب) «البيئة الإسلامية» والجزء (ج) «التنصير الظرفى» فقد أحدثا اهتمامًا أكثر وفى بعض الأحيان حظيا بمعارضة القراء. أبدى البعض تقديرهم لإصرار الكاتب على وجوب توبة النصارى عن طبيعة علاقتهم التقليدية بالمسلمين وعبر بعضهم الآخر عن احترامهم وتقديرهم فقط للاقتراحات المحددة التى قدمها، وتجدر الإشارة إلى أن عددًا من الأفكار والتعابير التى وردت فى البحث كانت بمثابة علامات خطر لدى كثير من القراء، فمثلاً فيما يتعلق الكاتب على «الإرهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين» قال أحد المشاركين: «إن **دكتور تيبر** قد بدأ يلج ساحة الخلافات والنقاش السياسى الخطير والتى أعتقد أنها ستكون عنصرًا هدامًا... إن ولاء العرب للقضية الفلسطينية يعبر عنه بالكلام وأنهم فى نهاية الأمر سوف يصطدمون مع نزعة القيادة الفلسطينية الهدامة، وإذا قررنا أن ننحاز إلى العرب أو إلى اليهود فإننا سوف لن نؤدى عملنا للمشاركة فى **الكتاب المقدس** الذى يدعو للوفاق بين المختلفين».

كما وردت التعقيبات التالية حول حاجة النصارى الغربيين للتوبة:

- «إن الشعور بالذنب يمكن أن يكون مبالغًا فيه».
- «يجب ألا نخدع أنفسنا ونقع فريسة للشعور بالذنب، فالإسلام ليس خاليًا من الذنب».
- «إننى اعترض كلية، إن الذين يبحثون عن سبب ما سوف يستغلون هذا الموضوع من الجدل أما القادرون على التفكير فسوف يعبترونه شكلاً آخر من أشكال التواضع الغربى الذى لا يليق إلا بالمراهقين».

ووردت التعقيبات التالية حول التخلى عن «شعور الانتصار».

- «من الواجب على دكتور تيبر أن يعرف «الشعور بالانتصار» لمستمعيه، هل يعتقد دكتور تيبر أن جميع النصارى يجب أن يركعوا ويعترفوا بخطاياهم أم أن ذلك أيضًا شكل من أشكال «الشعور بالانتصار».

وحول اقتراح الكاتب أنه ينبغى علينا جميعًا «ارتكاب مختلف أنواع الأعمال الخيانية» ورد ما يلى:

- «إننى لا أرى أية علاقة بين «أعمال خيانية» وبين التخلى عن «الشعور بالانتصار».

- «إذا كان الكتاب المقدس قادرًا على تخطى الحدود الثقافية فإنه يستطيع أن يضم ثقافتنا وثقافتهم».

- «من الواضح أن فهمى للظرفية مختلف عن فهم دكتور تيبر لهذا المصطلح والحقيقة أن النصرانية ذاتها لا بدّ أنها تعنى شيئًا آخر... إننا لسنا على وشك النصيحة بالاستقامة الشخصية والصمود الحق لننصاع مع هذه المناشدة، إننى لا أتصور موقفًا أكثر تطرفًا من الذى يدعو له دكتور تيبر». وبصفة عامة علق أحد القراء قائلاً: «إن انطباعات الكاتب مفيدة ولكن ارتباطها بالإسلام محدودًا جداً... إن البحث يتسم بالتحيز ولهذا يمكن أن يكون مفيدًا فى أى محيط عربى.. ولا بدّ من أن يأتى اليوم الذى نكف فيه عن الكلام حول العمالقة ونقوم باحتلال الأرض».

من الواضح أن دكتور تيبر قد أثار العديد من المسائل التى تحتاج إلى توضيح ومناقشة، والتباين فى ردود الفعل التى أحدثها البحث تتضح فى أن بعض القراء قد اعتبروا أن «جرأة» البحث هى سبب قوته، بينما اعتبر بعضهم الآخر أن هذه «الجرأة» هى سبب ضعف وسقوط فى نظرهم، ومن المؤكد أن البحث، كما وصفه أحد القراء، كان «مثيراً... وأساسيّاً فى آنٍ واحد».

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

إننى مسرور أن عـددًا من القراء قد وجد بحـثى مفيدًا، وليس غـريبًا أن يبدى البعض الآخر التـشكك والتساؤل، وبما أنه ليست هنالك جـدوى من محاولة الرد على جميع التعقيبات فسوف أركز على خمس مسائل أثارها العديد من القراء:

١- إننى مدين لأولئك القـراء الذين صححـوا تفسيـراتى ومفاهيـمى حول بعض المسائل المتعلقة بالبيئات الإسـلامية، وأود أن أوضح بأننى ركزت اهتمامى على إثارة بعض التساؤلات المختلفة دون أن أتعرض لتحليل الإسلام كدين، ويرجع ذلك لأننى لم أعش فى بلد مسلم حتى أعرف الإسلام عن كثب.

٢- لقد لامنى الكـثيرون على عـدم طرح خطوات محددة لمنـهج الظرفية، وكـما ذكرت سابـقًا فإننى لست ملمّاً إلمامًـا تامّاً بالإسلام، وبالإضافـة إلى ذلك فإن منهج الظرفية يقوم أساسًا على عدم إعـداد أساليب عامة بل يسعى لمعالجة كل حالة فى الوضع الذى يناسـبها، ولهذا فـإننى أفضل المنصر المطلع على البـيئة التى يعمل فيها، على المنصر الذى يملأ رأسه بأساليب يفـترض صحتها مسبقًا ويؤمن أنها كفيلة بتوفير الحلول لجميع المشاكل العارضة.

٣- لقد شعر بعض القراء بأن الفهم الصحـيح للتأصيل يشتمل على كل ما أسندته للظرفية، وقـد يكون ذلك صحيحًا لقليل من الناس ولكن كتـابات الكثير من العاملين فى مجال التنصير وممارساتهم ممن كانوا يظنون أنهم يمارسون أسلوب التأصيل تدل على فـهمهم الخاطئ لهذا المفهوم. فـذوى الإحساس المرهف من هؤلاء المنصرين لم يجرؤوا على اتباع أساليب التـأصيل إلا ضمنًا، أما الباقون فلم يأبهوا لتلك الأساليب على الإطلاق، ولهذا أعـتقد أنه من الأفضل لنا أن نحث الناس على اتبـاع طرق واضحـة بدلاً من إضـاعة الوقت فى التـلاعب بالألفاظ.

٤- تشـدد البعض فى مـناشدتى لاتبـاع طريقـة تتسم بالـلين وبدون ضجـة وفى استخدامى لمصطلح «حوار»، وربما كان سبب ذلك ارتباط هذا المصطلح ببرامج مجلس الكنـائس العالمى المشهـور، ولكن الذين يصرون على الطريقة التـقليدية

الغليظة عليهم أن يبينوا قدرتها على العمل، وفى تقديرى أن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم فعالية الطريقة التقليدية، إن الذى ناشدت به هو أن اتباع طريقة أكثر مرونة وقائمة على احترام الآخرين سيكون أكثر فعالية فى عملية التنصير وأقرب إلى روح الإنجيل.

٥- أما الجزء الذى ناقشت فيه مسؤوليتنا الجماعية تجاه تصرفات أممنا ومجتمعاتنا والذى أوصيت فيه بأن المنصر ربما وجد نفسه ملزمًا باتخاذ بعض المواقف التى تعتبر «خيانة» لسياسات بلاده القومية ومصالحها فقد كان أكثر الأجزاء إثارة للمعارضة وعدم الرضا، وقد أثار ذلك غضب الكثيرين مما جعلهم يعتقدون أننى قصدت الإساءة إليهم وحملتهم مسؤولية الحرب الصليبية، والحقيقة إن الذى قصدته هو أننا إذا ما أخذنا فى الاعتبار واقع المنظور الإسلامى (والذى يهم منهج الظرفية فى المكان الأول. . . أى أخذنا بجدية بيئة أولئك الذين نسعى لتبليغهم الرسالة) فإننا جميعًا مسؤولون عن أفعال أممنا أو إفرازات حضارتنا التى لا نجد فى نفوسنا الشجاعة للتبرؤ والتوبة منها، إن طريق الصليب والذى هو بالتأكيد طريق المسيح يوافق هذه النظرة أكثر من الإصرار على أن المسلمين يجب عليهم تبنى وجهة نظرنا عن المسؤولية الفردية البحتة (وبالمناسبة من الممكن إعداد دفاع جيد يستند إلى الإنجيل حول شكل من أشكال المسؤولية الجماعية).

أما فيما يتعلق «بالخيانة» فقد كنت آمل أن وضعها فى أقواس سوف لا يدع مجالاً لادعاء الشك بأننى قد استخدمت الكلمة استعمالاً مجازيّاً لا يخلو من مبالغة، وما لم نقف موقفًا يبرهن على أن أقطارنا نصرانية فى كل أفعالها وسياستها ومفهومها «للمصالح القومية» فمن منا سيشعر بأنه ليس من المفروض على منصر من الولايات المتحدة (مثلاً) أن يبعد نفسه علنًا عن تلك السياسات الأمريكية الشيطانية؟

●●●